

## رواية " مدينة الله " لحسن حميد : دراسة في هوية القدس المتحوّلة

عالية محمود يعقوب صالح \*

### ملخص

تسرد رواية "حسن حميد" مدينة الله" عناصر من هوية مدينة القدس -الواقعة تحت الاغتصاب-، هوية متميزة، متعددة، متنوعة، دينيا واجتماعيا، وعمرانيا. يعمل المغتصب الصهيوني على تغييرها واستبدالها بهوية واحدة، هوية المغتصب، سالكا طرقا شتى، منها: عسكري المكان، ومحاصرة السكان، وتضييق عيشهم، وتغيير وظائف البنى المعمارية. ويمثل محو هوية المكان في: الفضاء العام، والبيوت، والمخيم، والسجن، والقرية، والمستوطنة، والكنيسة والمسجد. فكل هوية مكانية قائمة تعارضها هوية مهذّدة: فالبيوت المقدسية مستهدفة بالهدم، أو الاغتصاب. والحياة الاجتماعية المترسخة الوادعة هويتها مهددة بالجيران المعسكرين والمعسكرين. والهويات المعمارية القائمة دُمرت وطُست، فالمساجد والكنائس حُوّلت إلى اصطبلات وبارات وملاه ومطاعم، والقرى العربية المغتصبة دُمرت، وأقيم فوقها مغتصبات. وتم استحداث هوية المخيمات. ولمقاربة الرواية تم اعتماد المنهج الوصفي التطبيقي التحليلي.

الكلمات الدالة: المكان، الهوية، مدينة الله، حسن حميد.

### المقدمة

المكان كل حيز جغرافي، اشتمل على فضاء حقيقي، أو خرافي، أو أسطوري، بما يحويه من خطوط، وأبعاد، وأحجام، وأثقال، ومجسمات: كالأشجار، والأنهار، وما يحدث لهذه الحيزيات من حركة أو تغير. (مرتاض، 1995)

"والفضاء الروائي، مثل كل فضاء فني، يبنى أساساً في تجربة جمالية، بما يعنيه ذلك من بعد أو انزياح عن مجموع المعطيات الحسية المباشرة، أي أن مجاله هو حقل الذاكرة والتمثيل". (نجمي، 2000)

ويمنح الفضاء الأعمال السردية حقها من الإيهام والتأثير حتى تصل إلى المتلقين والقراء مؤزرة بوهم انتمائها الفعلي للوجود الإنساني في مكان وزمان، هما شهادة ميلادها وتحققها، وهما اللذان يحجبان عن العمل الروائي قابلية التعويم فضائياً. والفضاء الروائي بوصفه عنصراً شكلياً فاعلاً في الرواية لما يتوفر عليه من أهمية كبرى في تأطير الحكاية وتنظيم الأحداث (بحراوي، 1990).

وللروائي سبل شتى في تشييد الفضاء الروائي، منها: الوصف، استخدام الصورة الفنية، توظيف الرموز، ولكل منها دوره الفعال في العمل الروائي (البوعلي، 2002) وكثيراً ما يتعمد الروائيون المحترفون، الذين يكتبون الرواية عن ثقافة وخبرة، لا عن هواية ورغبة، إلى اللعب بالمكان، وإلى الدسّ فيه للقاء أموراً لا ينتهي فيها إلى وجه؛ وهو أمر متعمد (مرتاض، 1995). ويحضر الفضاء وعيا فكرياً، ونفسياً، واجتماعياً، ووجدانياً، يتفاعل الذات مع الجماعة، ويبرز بأشكال ومستويات متعددة، حسب الرؤية المستقطبة لتمثله. ففي التجربة الإبداعية يفقد المكان بعضاً من خصوصيته الواقعية، ويؤرد بجملة من الخصائص المجازية التي ترتكز أساساً على ذاتية الأديب، وتتغذى مما يستوحيه من فضاء التجربة المعيشة، ومناخ الإحساس الذي ينتابه، ويصاحبه أينما حل وارتحل. إنه الرحم الذي يتفاعل فيه الفرد الاجتماعي بكيانه ووجدانه، ويبرز فيه مختلف أنشطته وسلوكاته الاجتماعية.

وتتعمق أهميته المكان حين يتمكن الأديب بأدواته الفنية والجمالية من الانتقال بالمكان من المستوى الطبوغرافي المائل في الواقع بتضاريسه ومعالمه، إلى مستوى الكينونة الفنية -أي- يصير جزءاً من وجدانه. لأن المكان الطبوغرافي يزول بتخطي الإنسان حدوده، في حين يحتفظ المكان في التجربة الإبداعية بلحمته، ويضمن التواصل مع المبدع لتنتقل العدوى بعد ذلك إلى الآخرين، من خلال عملية التأثير والتأثر (فوغالي، 2008) فالمكان "حياة برمتها لا يحدها طول ولا عرض". (موني، 2001). وهو في التجربة الإبداعية ما أشعرنا بوجوده وقد يتداخل إحساسنا به تداخلاً يصعب عزلنا عنه. فيتحوّل المكان على إيقاع مشاعرنا ويكتسب مظاهر

\* كلية الآداب، جامعة عمان الأهلية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2017/10/13، وتاريخ قبوله 2018/10/4.

معينة إيجابيا أو سلبا، حسب إحساسنا وما تستوحيه مشاعرنا منه. أما بالنسبة للفرد: فالمكان موضع الكينونة، ومحل التموضع والإقامة وممارسة النشاطات المختلفة والحركة. فيطلق عليه وطن يحدد موقعه بالنسبة إلى أماكن أخرى. ويتميز الوطن بعلامات مختلفة: جغرافية، وثقافية، ودينية، وسياسية. علامات تتفاعل لتشكل هوية أصحابه، وتمنحهم الأطمئنان، والراحة، والحب، والحماية. وعندما يستقر الإنسان في مكان يفتح وعيه على مقومات العيش، فينمو لديه شعور الانتماء للمكان، انتماء يورثه للأجيال، ويجعلها تحافظ عليه. فتتشكل علاقة الإنسان بالوطن عبر العلاقة الجدلية التاريخية بينهما. يستخدم الإنسان إمكاناته العقلية والمادية ليسخر معطيات المكان لتحقيق متطلبات العيش، فينمو التفاعل بين الإنسان والمكان، ويتغلغل المكان عميقا في الإنسان ويحفر مسارات في الذات ويصبح جزءا حميما من الإنسان. فيصبح المكان النقطة التي ينطلق منها الإنسان نحو العالم، ويُقاس الأماكن الأخرى بالمقارنة بالمكان الأول الذي احتضن عمليات التفاعل الأولى للإنسان مع العالم. يمنح الوطن الإنسان الفرصة لممارسة نشاطه: الزراعي، والصناعي، والعمراي، والثقافي. مما يُظهر تفاعل الإنسان مع المكان ماديا وفكريا. ويبلور معالم هوية الإنسان والمكان. ويُظهر القيم والاتجاهات والسلوك، والمشاعر: كالمحبة، والاعتزاز، والولاء، والانتماء، والبناء. وهذه صور هوية الإنسان وانتمائه للمكان. يُنتج المكان الهوية الثقافية الوطنية، ضمن منظوماته: الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية التي يخضع المكان لها. (لوتمان، 1986)

ومن تمثلات الثقافة: العادات والتقاليد التي يعد المساس بها مساسا بالهوية الوطنية، لأنها تشكلت من حفريات تفاعل الإنسان مع المكان عبر الزمان والأجيال، فعادات المأكل والملبس وتقاليد الزواج والعمل والموت تتبلور وفقا للمكان. ويُنتج تفاعل الإنسان مع المكان الفنون، والآداب، والمعارف. وتُمثّل الأزياء، واللوحات، والعمارة، والزراعة، والمصنوعات الحرفية، والغناء، والتراث الشعبي، والأدب، والشعر، والمعارف العلمية المختلفة، منظومة الثقافة والتكوين الفكري التي تركز عليها الهوية الوطنية.

وتكتسب مناشط الإنسان المادية والفكرية خصوصية تستمدّها من المكان، وتؤشّر على هوية وطنية تجعل أصحابها يعترفون بها ويدافعون عنها. ويروجونها في الداخل والخارج. ويضمنونها أدبياتهم المكتوبة والمسموعة والمرئية. وترداد قيمتها عندما تتشكل من تنوع الخصوصيات الداخلية التي تمنحها الأمكنة الداخلية المتنوعة. وتنوع خصوصية الهوية الثقافية يعزز ثراءها وقوتها. فالهوية منظومة متماسكة من السمات المشتركة بين أعضاء جماعة معينة، تُميّزهم، ويعترفون بها. (مشواط، 2005) مما يدفعهم للحفاظ عليها ومقاومة تغييرها. وتتضمن الهوية جوانب مادية ورمزية.

ويمكن مقارنة الهويات من منظورات متعددة: جغرافية، وبيولوجية، واثروبولوجية، وصراعات طبقية، واجتماعية، وسياسية. تحضر الهوية في السيرة الإنسانية صراعا وثقافا، وتنمي إحساس الفرد بالانتماء إلى جماعة. وتخضع مستويات الهوية لتراتبية المجتمعات وتقدمها وتعقد بنيتها الاجتماعية؛ ولذا يمكن تصنيف الهويات إلى: فردية، وجمعية، ووطنية، وقومية، ويتحدد التصنيف بنوع "الأخر" الذي تواجهه. "إن هويات الجماعة التي نتقاسمها تغذي إحساسنا الفردي بماهيتها، ولكن يمكن لها أيضا أن تكتمه. كما يمكن ترسيخ الهوية الفردية جزئيا حسب المنزلة في علاقتها بالآخرين الذين ينتمون إلى هوية المجموعة نفسها". (جوزيف، 2007)

وتتجذر هوية الشخصية الفردية والثقافية في هياكل مرتبة من التعبير والتصور، وتظهر في الفكر والفعل والشعور والإرادة، وتقدم أنماطا لتوجيه الحياة. " (شفيمر، 2012)

وتُكتسب الهوية من تعلّم أشكال التعبير والإدراك والتفكير من خلال الرموز البيئية الثقافية، المطعمه برموز الحياة الخاصة. فالأبنية الروحية تجسيد رمزي، وتعبير عن الحياة والإدراك، وأشكال حوادث الوعي والتنفيذات الروحية، إنما توجد فقط كعروض، كتمثيل للعمليات، التي كانت جرت، وظهرت ثم اختفت، والتي ربما بأسلوب ما تركت فينا أثارا معينة، ولكنها ليست ذكريات" (شفيمر، 2012)

"فالهوية هي ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، وترتبط ارتباطا وثيقا باللغة" (برهومة، 2011) و"صورة الهوية تتبلور في تفاعل علائقي بين الذات والآخرين" (أدونيس، 2002)

فالهوية إحساس واع بالخصوصية، يحيل على مجهود يقوم به الفرد لضمان استمرار تجربته الحياتية المرتبطة بمشاركته جماعته

التي ينتمي إلى أفكارها ونماذجها الثقافية.

وتواجه المجتمعات هويات تعمل على تفكيك هويتها واختراقها بنشر ثقافتها وقيمتها الاستهلاكية، وإن لم تقلح بالثقافة، فتلجأ إلى العنف المسلح، وعسكرة المكان لإراحة ساكنيه، والإراحة عن المكان تخلق أزمة خاصة تتعلق بالهوية والاهتمام بتطوير أو استعادة علاقة فعالة بين الذات والمكان لتحديد الهوية" (أشكروفت، 2006)

فالإراحة للمجتمعات سواء ظهرت عن طريق عملية توطين، أو عملية تدخل، أو مزيج من الإثنين تعمل على انتشار الاهتمام بأساطير الهوية والأصالة، مع تجاوز الاختلافات التاريخية والثقافية بينهما (صالح، 1997) ويصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتُصِب ، أو إذا حُرمت منه الجماعة ، ولذا فإنه يكتسب قيمة خاصة ودلالة مأساوية بالنسبة للمستعمرين واللاجئين (الفیصل، 1995)

فأهل فلسطين المستعمرون "قلقون على مستقبلهم ربما أكثر من أي شعب آخر في العالم، لأنهم يواجهون ظروفًا تهدد هويتهم وحتى بقاءهم الجسدي" (كناعنة، 2011) في كل فلسطين وكنتمثل لهذا الكل نعاين ما يمارسه الاحتلال على أهل مدينة القدس. القدس المكان القادر على إعطاء فكرة عن الكينونة في تجسدها وانقطاعها عن الذهنية البحتة ومطلقية التجريد، فهو المتلازم الأهم مع فكرة الوجود، فلا وجود خارج المكان، والكون مكان مطلق، تعجز عن حدوده المقاييس والأزمنة" (صالح، 1997) القدس<sup>1</sup> التي تملك هوية قوية معرّفة لكل الأديان؛ وهوية معمارية تكشف عن العراقة والتنوع والجمال، وهوية اجتماعية تبرز التأخي والتعايش الحميم بين الناس. القدس "مدينة الله، ليست لدين بعينه، وليست لبشر بعينهم.. إنها مدينة ممدودة على كفّ الله". القدس المقدسة ينتهك الاحتلال الصهيوني قداستها، ويفرض عليها أجواء مشحونة بالضيق والقهر والقمع والمنع. أجواء يعيشها المواطن والسائح والعايد.

هذه الأجواء تقجر الإبداع للتعبير عن المأساة التي حلت بأصحابها، وهذا الروائي "حسن حميد"<sup>2</sup> يقدم القدس في بناء روائي فاعل على مستوى الرؤية والأداة، ومحدد الهوية. يقدم في روايته "مدينة الله" مكانا دوره واضح في تكوين هوية الكيان الاجتماعي، ويعبر عن مقومات الثقافة، ويظهر القيم الأخلاقية والجمالية التي يتسم بها مجتمع "مدينة الله". وهو واع على تميز القدس عند كل أتباع الديانات الثلاث، تهوي إليها أفئدتهم، وتمثل لهم خصوصية وتجليا وعبقرية، ويعي إنها وطن للعيش ووطن للروح، ويعي كونها وطنا خاصا وعاما في الوقت ذاته، وطنا خاصا لساكنتها، ووطنا عاما لرائيها، ويتوافق الخاص والعام تشكلت هوية القدس، هوية فاتحة ذراعيها لكل البشر دون تمييز.

اختار الروائي الرسائل ليقدم من خلالها عناصر متعددة لهوية المدينة، وأقام هذه الرسائل على التعارضات، والثنائيات الضدية المظهرة للتعارضات التي تجابهها الهوية المقدسية في فضاءاتها المختلفة.

### في البناء الروائي

تتكون رواية "مدينة الله" (حميد، 2009) من تسع وأربعين رسالة معنونة بالعناوين التالية: القدس، سلوان، في الطريق إلى المغارة، المغارة، الرامة، ليلي، قلندية، صباح مقدسي، الفتاة الجنرال، في درب الآلام، كنيسة القيامة، سيلفا، كنيسة القيامة مرة ثانية، في بيت

<sup>1</sup> أشير إلى بعض الدراسات التي تناولت القدس: دراسة د. عبد الجليل عبد المهدي «بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية» (1989). دراسة د. عبد الله الخباص «القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن» 1989، ودراسة د. فاروق مواسي «القدس في الشعر الفلسطيني الحديث» ودراسة إيمان مصاروة «القدس في الشعر العربي الحديث» (2014). دراسة محمد الطحل «رواية القدس في القرن الحادي والعشرين» وهي رسالة ماجستير في جامعة النجاح الوطنية....

<sup>2</sup> حسن حميد: روائي وقاص فلسطيني ولد في كراد البقارة في فلسطين عام 1955، تلقى تعليمه في القنيطرة ودمشق، وحصل على إجازة في الآداب من قسم الفلسفة وعلم الاجتماع من جامعة دمشق 1980 عمل معلما في دمشق، وعمل رئيسا لتحرير جريدة (الأسبوع الأدبي). من أعماله الروائية: "السواد أو الخروج من البقارة"، 1988. "تعالى نظير أوراق الخريف"، 1992. "جسر بنات يعقوب"، 1996. "الوناس عطية"، 2002. "أنين القصب"، 2003. "النهر بقمصان الشتاء"، 2005. "مدينة الله"، 2009. وله إحدى عشرة مجموعة قصصية. ترجمت بعض قصصه ورواياته إلى اللغات الإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والفارسية، والصينية، والأرمنية. وفاز بالعديد من الجوائز الأدبية

<http://blogs.aljazeera.net/blogs/2016/11/18/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%BD8%AD%D8%B5%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B1%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA>

لحم، ليلة سيلفا، الطريق إلى أريحا، في أريحا، في السجن، العنب في الخليل، سعدية، أبو العبد، القدس برفقة الدليل، سيلفا.. وأم أهارون، بانتظار سيلفا، أنا وسيلفا، في المطعم، عارف الياسين، في سوق الحصر والنحاسين، في مطعم الخمرات، في مخيم شعفاط، عودة سيلفا، في الأسواق.. مرة أخرى، في ساحة مسجد الصخرة، الأمريكان، مع ثلاثة إسرائيليين.. في المقهى الصغير!، جرار اللعنات، المخيمات، والمفتاح، والمقهى، في مستوطنة جفعات شأوول، صباح يباكره الألم، في بيت أم أسعد، ساقية شراب الورد في الحي الأرمني، في رواق سلوان، الغريان والتابوت، رسالة السجن.. الأولى، رسالة السجن.. الثانية، رسالة السجن.. الثالثة، رسالة السجن.. الرابعة، رسالة السجن.. الخامسة، رسالة السجن.. السادسة.

يبدو الانحياز إلى إظهار هوية المكان ظاهراً في عنوان الرسائل، فجل العناوين تكاد تكون للمكان أو المكان مشاركا فيها، ويشغل البشر بعض العناوين، وبعضها القليل يشغله الزمان.

رسائل كتبت للإعراب عن هوية المكان، وبيان عناصره الفاعلة المشككة لهويته، قبل أن تتغير هذه العناصر وتُستبدل بعناصر أخرى يفرضها الاحتلال عليه، وهو ساعٍ بكل الوسائل لفرض هوية جديدة على المدينة، هوية أحادية ترفض التنوع والتعدد وتطمس وتمحي معالم المدينة.

هذا الاحتلال القائم بناء على وعد بلفور 1917/11/2 الذي تكفل بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فعملت العصابات الصهيونية على تحقيق الوعد في ظلّ الاحتلال البريطاني، فوضعت قوانين صارمة للبناء في القدس لتضييق الخناق على العرب، وسعت الوكالات الصهيونية إلى قلب الميزان الديمغرافي في القدس لمصلحة اليهود، ليصبحوا أغلبية في المدينة، ولما انسحب البريطانيون من فلسطين كانوا قد هيّؤوا لهم فرص الانتصار على العرب، فقامت العصابات الصهيونية بالمذابح الجماعية، ولا سيما مذبحه دير ياسين التي كانت نقطة التحول، وقد قال عنها منحيم بيغن: "لولا النصر الذي حقّقناه في دير ياسين لما كانت هناك دولة إسرائيل".

ثمّ بدأ الصهاينة بتنفيذ المخططات الخاصة بالقدس لتأهل لتكون عاصمة أبدية للكيان الصهيوني. فكان العمل جارٍ لتغيير ملامحها العربية وإبراز الهوية اليهودية بالقوة وترسيخ الادعاءات الباطلة. فتركس الإعلام والثقافة الصهيونية لأظهار القدس عاصمة الكيان الصهيوني، واتخذت أيقونة مركزية في الأعمال الإبداعية، وهذا ما تركز في أعمال: شموئيل يوسف غغنون وعاموس عوز، ويانيل دايان وأ. ب. يهوشوع، وشاني بونيجيو صاحبة رواية "الشعب الأبدي ليس خائفاً". وغيرهم. لذلك تواجه القدس حرب سرديات؛ فالرواية الفلسطينية للقدس والقضية الفلسطينية تحتاج لسرديات عبقرية في إعادة تجديد وقرارة الهوية الفلسطينية، ومقاومتها للمد الصهيوني السردية والتاريخي والذي يسعى لأنسنة الوجود الاستعماري الإسرائيلي ليس فقط من خلال القوة ولكن من خلال الأدب والثقافة. (جريس، 1981) فجاءت رواية حسن حميد إضافة إلى ما كتبه: محمد إسعاف النشاشيبي وإسحق موسى الحسيني، إدوارد سعيد وجبرا إبراهيم جبرا، ومحمود شقير، وفاروق وادي، وسحر خليفة، وعلي بدر.. وغيرهم لمواجهة الرواية الصهيونية وتفكيكها. قامت الرواية على رسائل اعتمدت بنية موحدة من أول رسالة إلى آخر رسالة، عنوان، ثم متن الرسالة، وفي نهاية كل رسالة ملاحظة، وأغفلت الرسائل التواريخ التي كتبت بها. لكن الدارس للرواية يستطيع أن يلتقط الإشارات الزمنية للفترة التي كتبت بها، فالسبب في نشر الرسائل يعود إلى السيدة ودبعة عميخاي العاملة في البريد المركزي، في حي زخرون موشيه، فالرسائل لزلزلة روسي كان يكتبها لأستاذة الجامعي في جامعة سان بطرسبورغ الذي علمه اللغة العربية. وكانت السيدة تراقب الرسائل بسبب أخبارها وقصصها، وقد احتفظت بها لأسلوبها الأدبي الرفيع، وسحرت بها على الرغم مما فيها من غصات وأكاذيب. وقد مضى عليها عشر سنوات أو أكثر بقليل.

والسيدة مريضة بالسرطان وأيامها معدودة، وهي تريد الذهاب إلى الجنة، الأمر الذي ذكرها بأحد زملائها الذين كانوا معها قبل أربعين سنة في دورة أرشفة وهو يعمل وقت زيارتها له في بيت الشرق في القدس، فدفعت إليه الرسائل ليتولى أمر إيصالها إلى صاحبها. استعان الزميل بكل الوسائل المتاحة ليوصلها إلى مرسلها أو المرسلّة إليه لكنه لم يفلح، فأشار عليه بعض الأصدقاء بنشرها ففعل.

تخلو الرسائل من التواريخ لكننا نستطيع أن نستفيد من بعض المعطيات المكانية التي تؤشر على الزمان فحي زخرون الذي

تُقيم فيه السيدة نشأ 1906<sup>3</sup>، وبيت الشرق<sup>4</sup> في القدس كان مقرا لجمعية الدراسات العربية من 1980 – 2001 مع مايتخلل هذه الفترة الزمنية من إغلاقات لبيت الشرق. فزمن كتابة هذه الرسائل يقع ضمن هذه الفترة الزمنية، إنه زمن الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

فالزمن مرصود بين الإيجاد والعدم، إيجاد/إنشاء "حي زخرون" ليدل على جماعة وهوية، وإعدام/إغلاق مؤسسة "بيت الشرق" بدورها الفاعل في المجتمع الفلسطيني، -هذه المؤسسة القائمة في بناء لعائلة فلسطينية يعود إلى 1897-. ثنائية الحضور والغياب، الإنشاء والإزالة، الإيجاد والإعدام. ثنائية انتهجها الاغتصاب في كل مناحي الحياة المقدسية، ومعمة على كل الوطن الفلسطيني المغتصب.

جاء صاحب الرسائل "فلاديمير بودنسكي" إلى فلسطين سائحا، بناء على وصية أستاذه "جورجي إيفان" الذي نصحه بقضاء إجازته في القدس بلد المسيح عليه السلام، ونصحه بكتابة كل ما يراه، وما يسمعه، وما يشعر به، وما يعيشه. امتثل فلاديمير لنصيحة أستاذه فكتب الرسائل محملة بعالم المدينة المقدسة التاريخي، والاجتماعي، والميثولوجي، والعمرائي، والاجتماعي، والعاطفي، والإنساني. غير مغفل في رسائله العالم الروائي بما يشتمل عليه من أحداث وعناصر مائعة وجميلة ووظائف لرسائل خاصة تقوم على البوح وكشف المستور.

القدس منطلق السياحة، سياحة فيها، وسياحة منها إلى فلسطين، سياحة دينية، وميثولوجية، واجتماعية، واقتصادية وسياسية. أخذت القدس الزائر من نفسه، لكن الصراع الذي تعيشه المدينة مع مغتصبيها المتمثلين "بالبغالة" كان يخرج الزائر من روحانية المدينة، لذلك كتب الزائر المكان محملا بسجله وهويته المتنازعة بين الروحانية، والسيادة، والسياسة. كتب السائح المدينة مظهرا هويتها المتنازعة بين أصحاب المدينة التي يريدون إبقاء مدينتهم \_على ما نشأت عليه\_ لكل الناس والأجناس، والمغتصبين/البغالة/ الطارئین الذين يريدون الاستئثار بالمدينة، ووضعها تحت هيمنتهم، وتبريغها من أصحابها الأصليين.

#### المدينة المقدسة موزعة بين الثنائيات المتصارعة

في سردية القدس يقدم الروائي مناخا عاما من خلال صور مشهدية مكررة تبرز جمال القدس وروحانيتها، صور تشتمل على الصوت، والرائحة، والحركة التي تملك على الإنسان حواسه، القدس التي تتعالى فيها التكبيرات ودقات النواقيس، وتنتشر فيها الروائح الطيبة من كل الجهات، ويتوافد إليها الناس وأصحاب العربات والسلا، وتجري فيها الأسواق والحارات بعضها نحو بعض وتتلاقى. فيسلم داخلها روحه لشوارعها فتماشيه الظلال والأنسام، وتباريه الوجوه التي تشبه أرغفة الخبز، ويدور به التلفت والانتباه والصحو فتلفه غواية المكان، فيشعر كأنه كائن أثري يمشي وراء حواسه مندفعاً. (حميد، 2009) ص 13

صوت التكبيرات وأجراس الكنائس دليل على روحانية تنوع المدينة الديني، ورائحة القهوة الفائحة من البيوت المقدسية دليل على استعداد دائم لاستقبال الزوار، وحركة الناس في المكان دليل على حب الناس للحياة والعمل.

تضادها صور عسكرة المكان برموزها السلطوية المعبر عنها بالجند السمان النقال الذين يعتلون بغالا سمانا، وتعتلي الجنود

3 [http://daharchives.alhayat.com/issue\\_archive/Havat%20INT/2001/4/29/%D9%85%D9%86-300-%D9%86%D8%B3%D9%85%D8%A9-%D8%B9%D8%A7%D9%85-1210-%D8%A7%D9%84%D9%89-28-%D8%A7%D9%94%D9%84%D9%81%D8%A7%D9%8B-%D8%B9%D8%A7%D9%85-1917-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%94%D8%B1%D9%82%D8%A7%D9%85-%D9%8A%D9%81%D8%B6%D8%AD-%D8%A7%D9%94%D9%88%D9%87%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%8B-%D8%B3%D8%A7%D9%8A%D9%94%D8%AF%D8%A9-%D9%85%D9%86%D8%B0-%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86.html](http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Havat%20INT/2001/4/29/%D9%85%D9%86-300-%D9%86%D8%B3%D9%85%D8%A9-%D8%B9%D8%A7%D9%85-1210-%D8%A7%D9%84%D9%89-28-%D8%A7%D9%94%D9%84%D9%81%D8%A7%D9%8B-%D8%B9%D8%A7%D9%85-1917-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%94%D8%B1%D9%82%D8%A7%D9%85-%D9%8A%D9%81%D8%B6%D8%AD-%D8%A7%D9%94%D9%88%D9%87%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%8B-%D8%B3%D8%A7%D9%8A%D9%94%D8%AF%D8%A9-%D9%85%D9%86%D8%B0-%D8%AD%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86.html)

بني البناء الذي أسس فيه بيت الشرق 1897 في شارع أبي عبيدة، باب الساهرة، القدس، واستُخدم مضافة لزوار القدس من الشخصيات السياسية والدينية. وفي عام 1980 استأجر فيصل الحسيني جناحا من البيت ليكون مقرا لجمعية الدراسات العربية، والجمعية مؤسسة فكرية وعلمية، تُعنى بإعداد الأبحاث التربوية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والسياسية والثقافية من خلال مراكز متخصصة. أُغلق في 1988/7/28 من العدو بذرائع أمنية، وأُعيد فتحه في 1992/10/26. وفي 2001/8/10 تم إغلاقه بالكامل ومصادرة كل وثائقه ومحتوياته.

<sup>4</sup> المستوطنات في القانون الدولي - تنص الفقرة السادسة من المادة «49» من اتفاقية جنيف الرابعة، التي صادقت عليها إسرائيل في عام 1951، على أنه: «لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحل أو تنقل جزءا من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها».

خوذ الحديد الشاحبة، يهزون أيديهم بهراواتهم الغليظة وقد أغلقت وجوههم. لا شيء حولهم أو قريبهم سوى الكلاب، وسيارات الجيش، وحواجز الحديد، ولا شيء يلفهم سوى النظرات الكارهة" (حميد، 2009) ص14. صورة تلوث المكان وتفقده صفاءه.

لوحتان تسردان ثنائية مشهدية تحكم هوية المدينة العامة "مدينة الله" فالجمال والوداعة والروحانية المتمثلة في البيئة والبشر والحركة والحجر يقابلها الشحوب والوقوف والتهديد والحديد. جمال يستبد به القبح والقمع والمنع.

لوحة البغالة وعناصرها لازمة مكررة تكاد لا تخلو منها رسالة من رسائل الرواية، ففي كل موضع يذهب إليه الزائر في القدس وخارجها يجد البغالة يعسكرون المكان، ويرصدونه ويعيقون حركته ويعطلونها. يقبضون على عنق الزمان، ويتحكمون في سيره وجريانه، يوقفونه ويبطؤونه.

يحضر البغالة على امتداد النص الروائي حضورا عنيفا، استغزاليا، مهددا، ثقيلًا، مرفوضًا. فيصنعون واقعا عاما مشحونا بالاضطهاد، والمصادرة للإفراد والجماعات يوميا وعلى مدار الساعة واليوم والشهر والسنة.

يستبد البغالة بفضاء المدينة العام، ويديرونه بكل وسائل القهر والإكراه، والاحتواء الإيديولوجي والرمزي. هذه هي صورة المدينة بصورة عامة. ومن العام سندخل إلى الخاص مستحضرين بعض الوقائع والتفصيلات التي سردها السائح في رسائله منها ما يخص رحلته ومنها ما يخص الناس، فننوقف عند علاقة الفلسطيني المواطن بمدينةته أي:الظهور الروائي لشخصيات الرواية، تمثل عليها بزيارة السائح لبيت أم أسعد.

### الهوية المقدسية مهددة بالاستلاب والمحو والاستبدال

#### حارة السعدية/بيت أم أسعد

زيارة السيد "فلاديمير بوندسكي" بيت أم أسعد رفقة الدليل "فرج" والحوذي "جو مكلان" -بناء على طلبه لمعرفة أحوال السكان الأصليين في المدينة-، في حارة السعدية، أحد أحياء القدس المشهورة بأبنيتها وأشجارها القديمة، والمطلّة على كنيسة القيامة، والمسجد الأقصى، تسرد جوانب عديدة من الحياة التي يعيشها المواطن المقدسي المسيحي والمسلم. فتظهر القدس ممثلة للتعايش المسيحي الإسلامي، فالبيوت متقاربة ومتجاورة، ومتداخلة، ومتقابلة، والشرفات متقاربة "ومن الصعب على الزائر أن يميز أسرة مسيحية من أسرة مسلمة. وتتجاوز الكنائس والمساجد، حتى ليظن المرء أن المآذن طالعة من وسط الكنائس، أو أن قباب الكنائس تعلق أسطح المساجد، والنباتات المتدلية من الشرفات يصعب معرفة أين هي جذورها، فهي متداخلة ومتشابكة.. حتى الروائح من الصعب أن تعرف من أي البيوت تخرج، وتنتشر، إنها كائنات سحرية تمضي من بيت إلى بيت. هذا المشهد العام المادي الذي تظهر من خلاله حارة السعدية، يكمله التفاعل البشري الحيوي، فالحارة من مدخلها تعج بالحياة، وتكتظ بباعة أرغفة الدبس، والقشدة، والعسل، الواقفين وراء صناديقهم اللامعة يبيعون أرغفة الدبس بعد أن يرشوها ببودرة السكر المطحون. بمحاذاتهم تتدلى النباتات من الشرفات وتتسدل على الحيطان، حداثق معلقة تجلس في شرفاتها نساء يشربن القهوة، التي تهبط رائحتها، وتمشي من بيت إلى بيت. وأطفال ذكورا وإناثا، يحملون أوان فيها مشتريات وبعضها فارغة تنتظر الامتلاء. وهم في ذهاب وإياب ينظرون بوجوه باسمة. وتتوفر الحارة على محال صغيرة ومتوعة ل: الخضراوات، والفواكه، والنجارة، والخياطة، والتطريز، والحلويات، والفول والحمص، والزجاج، والمرايا، والأدوية، والخبز والكعك، والألبسة... يحصل الناس على بضاعتهم منها بسلاسل تُدلى من الشرفات مربوطة بحبال، توضع بداخلها أوراق مكتوب فيها الحاجيات التي تطلبها سيدات البيوت، فتزود بها وتعلق نحو البيوت. (حميد، 2009) ص397 يقدم مجتمعا حيويا يدير شؤونه باقتدار ومتعة وانفتاح على بعضه، يعرف ما يريد، هيا لنفسه خدماته التي يحتاجها، له تقاليده والقارة والمعروفة للجماعة التي تعيش في المكان.

وتقوم علاقات هذا المجتمع على التشارك بين أبنائه في الطقوس والمناسبات فابن أم أسعد بيان يشاركه أبناء جيرانه المسلمون في إعداد بيض العيد. وفي بيت أم أسعد يُعلق الكتاب المقدس بجانب القرآن الكريم، لرسوخ مبدأ الحياة المشتركة والمصير المشترك لدى سكان المدينة. (حميد، 2009) ص400-401

يقابلهم ويعارض عيشتهم وينغصه جماعة المغتصبين المجاورين للمواطنين الفلسطينيين ويحيطون بهم من كل جانب، يدورون حياتهم مع جيرانهم الفلسطينيين بالعداوة والبغضاء والاعتداء، إنهم مجاورون قريبون تظهر بيوتهم عندما ترفع ستائر بيوت الفلسطينيين، فينظرون إليها برؤية، بناذقهم تجاوزهم على مقاعدهم، يتكلمون بعصبية عندما يلحون الجيران، ويطلبون منهم الدخول، وهم يحيطون بالبيوت من جميع الجهات، ويرمون قاذوراتهم على بيوت الفلسطينيين، فتضطر أم أسعد لوضع شباك حول بيتها؛

لكي لا تصل إليهم القاذورات، إنهم لا يتفاعلون مع الأغيار. (حميد، 2009) ص 402-403 .  
بهذا النوع من العلاقات الإنسانية المجاورة يعاد تشكيل هوية المدينة الاجتماعية، فتصبح المدينة طاردة لسكانها الأصليين. ليس هذا فحسب فالبيوت مهددة بالهدم وقد يفقد سكانها أرواحهم للحفاظ على بقائهم في هذا المكان المحاط بالأذى وسوء الجوار، فأبو أسعد فقد حياته عندما جاءه أمر إخلاء بيته من السلطات الإسرائيلية، رفض الامتثال للأمر، فقتل، وزوجته تحفظ دمه النازف في البيت تحت بلاطة تزيها الزوار.

في بيت أم أسعد بلاطتان واحدة تحفظ تحتها دم زوجها، والأخرى تظهر الحفريات التي يقوم بها الإسرائيليون تحت البيوت وتحت المدينة، هذا يعني أن البيوت مهددة بالانهيار على رؤوس أصحابها، فيكون هذا نوع من التفريغ المبرمج للمدينة من سكانها الأصليين من مسيحيين ومسلمين.

وتتعرض البيوت المقدسية إلى مدهامات وتفتيش بصورة مستمرة، ففي أثناء زيارة السائح لبيت أم أسعد داهم الجيش البيت. وسألوا عن أوراق الزوار وتفتحوها، وحين تناول أحدهم أوراق الدليل فرج رفع يده وانهال عليه ضرباً، وانهال الآخرون، وداسوه تحت أقدامهم بقسوة شديدة، وأمطروه بالكلمات البذيئة، وكان الجنود يخيمون فوقه، والدم يصبغ وجهه ويديه، والأنيب يلفه. وأخبرتهم أم أسعد أن الدليل فرج ضرب للمرة السادسة أو السابعة في هذا البيت.

زيارة بيت أم أسعد تسرد كاشفة الامتحانات الصعبة التي تمر بها هوية المواطن المقدسي، ومقدار الجهد الذي يبذله السكان للمحافظة على هويتهم الإنسانية، والاجتماعية، والمكانية. المواطن المقدسي يعيش مرصوداً في كل تحركاته، فجاء تركيز الروائي على رصد عنصر الحركة للشخصيات، فقدمها في أدوار فاعلة في المكان ولم يعتن بتقديم ملامحها ومنولوجاتها. فأظهر تفاعلها وحركتها المرصودة والمتنبه لها من الصهيوني المتربص بها ليجد مدخلا إلى كيانها لكي يجرداها من هويتها الوطنية الفلسطينية المقدسية. وعند الذهاب إلى المخيم فسنجد تنويعات أخرى لمحو الهوية واستبدال خاناتها وإعادة تعريفها.

### المخيم/القرية

#### المخيم

المخيم: استحداث استعماري مضاف إلى التقسيم الحضري والريفي والبدوي، إنه وحدة جغرافية اجتماعية جديدة، أو وسط محدث بعد نكبة 1948، تجمع على تخوم مدن فرض على المهجرين الإقامة فيه باعتبارهم جماعات تائهة ومنبوذة ومهمشة. فأصبح إطارا للعلاقات الاجتماعية للمقيمين فيه المنحدرين في غالبيتهم من أصول قروية دون تمايز طبقي، لأن النكبة ساوت بينهم بالفقر؛ لأنها فصلت المهجرين عن وحدات إنتاجهم ومصادر رزقهم المتمثلة في الأرض. ولا يتوفر المخيم على وحدات إنتاجية.

نشأت المخيمات على تخوم المدن، وكانت في البداية خياماً، استعيرت منها بوحدها سكنية متراصة، يفصل الساكن عن جاره متر أو أقل، ويفصل الأحياء عن بعضها شوارع ترابية، موحلة شتاء، ويسيل فيها الماء الآسن صيفاً/مكشوفة/. وعدد الغرف في الوحدات السكنية لا يتعدى الغرفتين أو الثلاث، تضم الغرفة ما بين 5-7 أشخاص. وينتج عن هذا الازدحام مشاكل صحية واجتماعية.

ومنذ نشأة المخيم إلى الآن ظل يحمل دلالة المؤقت، ويؤشر على الاقتلاع، فهو وليد النكبة وتوأم اللجوء، وكمعطى مكاني أصبح يبيلور هوية ثقافية واجتماعية ونضالية مرتبطة بالماضي المرتبط بالأرض. ومنطلعة إلى مستقبل تستعاد فيه الأرض. فالمخيم شاهد حي على صراع على مكان وهوية، شاهد على فعل الإزاحة والتهجير والتفريغ، لإحلال المغتصبين الذين جاءوا من أرجاء العالم المختلفة في بيوت الفلسطينيين وأراضيهم. أخرج هؤلاء الناس من بيوتهم زمن حرب 1948 بطرود مختلفة ومهددة لحياتهم على أمل العودة بعد انتهاء الحرب، وعندما وضعت الحرب أوزارها، وقامت الدولة الصهيونية مُنَع هؤلاء من العودة إلى بيوتهم، وصودرت أراضيهم وبيوتهم.

يعاني سكان المخيم ويصارعون بين هوية واقعية مفروضة، وبين هوية مسلوقة، وبين هوية يناضلون ويسعون إلى استعادتها. ويقف المخيم شاهداً على عنف نزع الملكية، وهدم البنى الاقتصادية، والاجتماعية، وتقنيك الروابط الأسرية، وهدم العلاقات الإنسانية، وهذه العناصر جميعها تعمل على أشكلة الهوية، وإعادة تغيير خاناتها، فخانة السكن أصبحت تعباً باسم المخيم بدل اسم القرية أو المدينة المنحدر منها الإنسان. بالإضافة إلى أشكلة هويته الاقتصادية والاجتماعية، والمخيم سجن كبير يعيش فيه حياة الانتظار، وقد يكون انتظار غودو الذي لا يأتي. والمخيم يعمق إحساس الشخصيات بالعزلة، لأنه بديل عن الأماكن الأليفة التي عاش فيها الناس سابقاً.

وإذا ظلت الخيمة تحمل دلالة التنقل والرحيل المستمر والمرتبطة بحياة البادية، المتسمة بالتنقل الحر للبحث عن مصادر

العيش؛ فإن خيمة الفلسطيني أصبحت رمزا لاستقرار قسري، منزوع مقومات العيش، بجانب المدن، وهي وجه شائه لمنتجات الاستعمار الذي أعاد تشكيل هوية الجغرافيا.

فتسليط الضوء على المخيم وزيارته ركيزة أساسية لإظهار عنف نزع الهوية المكانية والشخصية للأفراد والمجتمعات المغتصبة. زار السائح مخيم شعفاط، الذي يمثل كل المخيمات الفلسطينية، مخيم عمره يساوي عمر الدولة الإسرائيلية، فيه أهل المدن والقرى الفلسطينية الذين هجروا من مدنهم وقراهم فلاذوا بداية الأمر في خيام لا تقيهم حر الصيف ولا برد الشتاء، ثم تحولوا إلى أكواخ الصفيح، وبعضهم بنى بيوتا باتونية. ومخيم شعفاط مقام على رقعة أرض ضيقة ومحصورة، تكتظ فيها أكواخ الصفيح، وتبدو كأنها فوق بعضها البعض، ويسيل في أزقتها الماء الآسن بسبب عدم وجود شبكة للصرف الصحي، والسكان ممنوعون من إنشاء شبكة للصرف الصحي. الزمان المؤقت أصبح سرمديا وقد مر على إنشائه أكثر من خمسة وستين عاما". (حميد، 2009) ص 265

لا يفتقر المخيم عن السجن كثيرا، فهو مكان محصور ومحاصر، تتعدم فيه سبل العيش، وموارد الرزق، مما يدفع الناس إلى المقاومة، والمطالبة بحقوقهم المسلوبة، وممتلكاتهم التي صودرت وحرمتها، لذلك هم دائما في مواجهة مع السلطات، هذه المواجهة تؤدي إلى الموت أو السجن.

يعيش الناس في المخيم في مواجهة دائمة مع الموت، وفي الموت، فهذا أبو جادو أحد سكان المخيم، الذي زاره السائح رقعة الشاعر ماجد أبو غوش، أنجب ثمانية أبناء ذكور وابنة واحدة، الأبناء الثمانية استشهدوا، وكذلك البنات تأمرت عليها البنات اليهوديات لتفوقها في الجامعة عليهن ووضع لها السم في الشاي فماتت.

لم يكن أمام أبي جادو من حل سوى مواجهة الموت ب حياة أخرى هي زراعة النباتات الملونة وذات الروائح حول قبور أبنائه، وتعهدها بالسقاية والرعاية كل يوم، ومعها يقوم بالتصحيح على أولاده، ومجالستهم، وقراءة الفاتحة لهم، وتدخين سيجارة بمجاورة قبورهم، ثم العودة إلى بيته.

لقد أصبح الذهاب إلى المقبرة جزءا أساسيا من شعور أبي جادو باستمرار الحياة. فحول الموت إلى شكل آخر من أشكال الحياة في أرض المقبرة. أما أم جادو فحولت الموت إلى حبق تزرعه في أوان بلاستيكية، وتهدى منه لزوارهم. أما غرف الأبناء الشهداء في المخيم فظلت تحفظ ملابسهم وأدواتهم منضضة ومرتبطة كأنها تنتظر عودتهم إليها. هذا المخيم المكرس لاستلاب الهوية والوجود، يبحث مقيموه عن حياة في الموت، ويقاومون الموت بأشكال مختلفة من الحياة. هذه سردية المخيم المؤقت المرتبط بالجوع، الذي يعاني من العزلة والموت، يخلق رموزه ويحاول أن يضيفي على الحياة المعنى والقيمة. فوجد هذا المعنى والقيمة في القبر الذي يمثل الاستقرار في المكان والبقاء.

### القبر

القبر: هو مدفن الإنسان بعد موته، وهو عبارة عن حفرة تأخذ الشكل المستطيل بمساحة جسم الإنسان المتوفي ويعمق لا يتجاوز المترين، هو الأرض التي تحتوى الجسد، هو رحم الأرض الذي يعود إليه الإنسان، ليعود إلى منشئه، لينتقل من الحياة إلى عالم آخر. القبر هو الشاهد على وجود الإنسان في الكون، إنه الثبات في مواجهة حركة الزمن.

سكان المخيم يعيشون في الموت، يخوضون الحياة داخل خيار مسبق هو الموت، لذا تتعدم الفواصل بين الحياة والموت، وتترجح المعاني، وتختلط الأشياء والقيم والمثل.

الموت هو العنصر الأكثر أهمية في حياة المخيم؛ لأن فضاء المخيم مجتاح بالموت الدائم والمستمر؛ لذا يبقى القبر حاضرا، وفاغرا فاه للاستقبال اليومي للمناضلين الشهداء.

لذا عمل الناس على بذل ما لديهم من خبرات لجعل المقابر مكانا لائقا بقاطنيه؛ لأنهم في هذا المكان استودعوا فلذات أكبادهم، وشهداءهم، وهؤلاء يمثلون خيرتهم ويستحقون المكان الأجمل والأكثر عناية. فبدت مقبرة المخيم مكانا ساحرا للناظر، القبور فيها تحت الأشجار كأنها لقالق تمشي وسط حقل من العشب الأخضر اللامع المندى، وفي الجوار ساقية ماء تمر بالقبور عبر مسيلات احتشد فيها الحصى، فصفا الماء وتلامع، وطيور توارت طي أوراق الشجر تعلن عن نفسها بالزقزقة.

جمال وصفاء شيدته ورعاه سكان المخيم لأحبتهم؛ لأنهم محرومون من هذا الجمال في مقامهم في المخيم، لكنهم منكسرون بسبب الموت المفاجئ الذي يصيب أحبتهم، يقرأون الأدعية ويسقون النباتات، ويجمعون الأوراق والأكياس المتطايرة، يعتنون بالقبور ويجاورونها ويجالسونها ويحاورون من بها ويواقفونها، فتبدو كأنها بيوتهم لعنايتهم بها، إنها بيوت أحبتهم التي تحررت من قبضة قوانين المغتصب، الذي اغتصب كل شيء حتى جمال الحياة البسيطة، لكنه نسي أن يلتفت إلى جمال صنعه المغتصبون في

مقابرهم، ويتشارك معهم الأطفال في القيام على المقابر بتوزيع المآكل والمشارب. هذه السردية لصورة الناس تكشف حياتهم المنهوبة المدماة، الموزعة بين الفقد والفق، الذي يعتقدون أنه يقربهم من حلمهم وطموحهم، فقد المقابر وفقد المعتقلات والسجون. يعترض البغالة زوار المخيم ويوقعون العقوبة بمرافق الزوار. وهم يرون أن على المرافق أن يأخذهم إلى متحف المحرقة اليهودية بدل أن يأتي بهم إلى هذه الزبالة، إلى المخيم، كي يروا القرف والروائح الكريهة، وأقنان الدجاج، والناس الموتى. (حميد، 2009) ص 274

وهنا يُطرح السؤال التالي: هل الفلسطيني مسؤول عن المحرقة؟ ودون مناقشة مصداقيتها؟ لماذا يدفع الفلسطيني حسابا لم يكن طرفا فيه؟

يكشف المخيم زيف سردية هوية خطاب الاستعمار، ويكشف الكذب والمراوغة والادعاء، ويكشف تحكم المستعمر بوجهة النظر وزاوية الرؤية، فالمغتصب يعلم أن المخيم هو لطفة عار في وجهه لذا يريد إخفاءها. بالمقابل يريد أن يظهر للعالم مأساة شعبه بأخذ الزوار إلى متحف المحرقة.

ليس هذا فحسب، ولكن كل من يقاوم، ويعمل على تغيير واقعه، ويطالب بحقوقه من الشعب المغتصب يكون مصيره الموت أو السجن في شروط عقابية قاسية تعمل على تفكيك الهوية، أو تدمير الشخصية/الجسد. يقابل المخيم ويضاده منشأة اغتصابية تدعى المستوطنة، وسأدعواها المغتصبة. سبق وتزامن مع نشوء المخيمات مغتصبات. هذه المغتصبات قامت على أنقاض قرى عربية كانت عامرة ومقطونة بالسكان تم تدميرها وإعادة بنائها ليحل بها المغتصبون المجلوبون من شتى بقاع الأرض.

#### المستوطنة/المغتصبة:

المستوطنة/المغتصبة: تجمع بنائي سكاني يقام على الأراضي المسلوقة من الفلسطينيين بالقوة<sup>5</sup> مستوطنة/مغتصبة جفعات شأول مغتصبة أقيمت 1950 على أنقاض قرية عربية اسمها دير ياسين<sup>6</sup> قتل نصف سكانها والنصف الآخر شرد، وأزيلت آثار القرية ولم يبق منها غير المقبرة.

أقيمت المغتصبة على تلال قرية دير ياسين، القرية التي تم محوها، بيوت حديثة متجاورة مغطاة بالقرميد، تستدير حولها الطرق، وتحاذيها الأشجار، ويجاورها ساحات للملاعب، والحدائق، والسيارات. بيوت ومرافق مريحة وجاذبة، ولكن المغتصب يظل متحسبا لفعلة؛ لذلك قاموا بتزييرها بأسيجة الحديد الدائرية المحكمة، وعند مدخلها وضعت ثلاثة حواجز حديدية متقاربة يقف خلف كل حاجز مسلحون، وفوق المدخل برج مراقبة زجاجي تعلوه كاميرا، وبداخله جندي وراءه رشاش كبير الحجم، ويواجهه برج آخر مماثل. تبدو المستوطنة كأنها قرية عسكرية. المقرب من المستوطنة يلاحظ أن أبواب البيوت ونوافذها مغلقة، والحديد يزورها في سياج دائري محكم، وعند المدخل يجد ثلاثة حواجز حديدية متقاربة يقف خلف كل حاجز مسلحون، ويُبلى الداخل إلى المستوطنة بتحديق مركز. هذه المفارقة الساردة لعناصر مكانين تم إيجادها على يد الاغتصاب: المخيم، والمغتصبة. المخيم تكديس بشري يفقد كل مقومات العيش والحياة، مسور بالبغالة والمنع والحصار، ومغتصبة تتوفر على جميع سبل العيش والرعاية والحماية.

يسكن في هذه المستوطنة بضع عائلات، وقد لا يبني فيها أحد، وحالها يشبه حال المستوطنات الأخرى (حميد، 2009) ص 372-378، زارها السائح ليشاهد طقس الاستسقاء الذي يمارسه المستوطنون لاستئزال المطر. حاول السائح أن يزور مقبرة دير ياسين فمنع من الزيارة، لأن المقبرة توشر على كيان هوية.

المستوطنة/المغتصبة معلم يدل على سكان وهوية، وهذا المعلم أقيم على معلم قائم دال على سكان وهوية. المستوطنة/المغتصبة هوية قامت على محو هوية أخرى. قرية/مستوطنة.

#### السجن

السجن مكان لسلب الحرية، وهو بناء معد لحبس شخص أو أكثر، محاط بالأسوار والقضبان الحديدية، والحراس،

<sup>5</sup>المستوطنات في القانون الدولي - تنص الفقرة السادسة من المادة «49» من اتفاقية جنيف الرابعة، التي صادقت عليها إسرائيل في عام 1951، على أنه: «لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحل أو تنقل جزءاً من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها».

<sup>6</sup>تعرضت القرية لمذبحة وحشية من العصابات الصهيونية 1948/4/9. وراح ضحيتها أعداد كبيرة من السكان من مختلف الأعمار. وتقدر المصادر العربية والفلسطينية عددهم ما بين 250 إلى 360 ضحية تم قتلها، وقد سببت المذبحة حالة رعب بين المدنيين مما دفع القرى الأخرى إلى الهجرة.

والسجانين. وتعمل إدارة السجن على تطوير أدواتها ووسائلها؛ لإبقاء السجين تحت سيطرتها الكاملة.

والسجن مكان لتدمير الإنسان ومنعه من الإبداع والتقدم والبناء، وحرمان كامل من امتلاك الوقت والزمن والأمكنة، وهو مكان عقابي يعمل على هدم الذات وسحقها، وأشكلتها مع هويتها ومعتقداتها، وإفقادها فعاليتها الفكرية والجسدية، وهو فضاء إقامة جبرية في شروط عقابية صارمة، تجعل النزول يتحول من العالم الخارجي إلى العالم الذاتي، وتحول قيمه وعاداته، وتثقل كاهله بالإلزاميات والمحظورات، ويعمل السجن على تهميش الفرد وإضعافه. ومع ولوج السجن تبدأ سلسلة العذابات التي لا تنتهي حتى بالإفراج عنه، فقد يحمل جسده آثارا تلازمه طيلة حياته.

والسجن في سردية "مدينة الله": مؤسسة مرتبطة بالسلطة العسكرية الأمنية الاغتصابية، تقوم على القمع، وطبع الأجساد بمعالم تبقى وسما يسم الجسد الفلسطيني ويشوّهه: كبت الأعضاء المختلفة من الجسد، وطبع الجسد بعلامات دالة على التعذيب. ذلك لأن الجسد المحكوم يمكنه أن يكون مادة للفعالية السياسية للنظام المستبد، خصوصا إذا علمنا أن الجسد «يعتبر بمثابة مجال متنقل يستطيع نشر المعالم السياسية في كل مكان حل به مما يوسع من حدود المجال السياسي لكل فاعل ويقوي بذلك قوته ووزنه أمام باقي الفاعلين السياسيين» (شقيير، 1988)

والسجن واحد من ثلاثة عناوين للفلسطيني، ثانيها البيت، وثالثها العمل. ولأن الفلسطيني في مواجهة دائمة مع المغتصب، أراد أم لم يرد، لذا توجب عليه أن يتوفر على خريطة للسجون الإسرائيلية، فعندما يغيب فرد من أفراد الأسرة، يُطاف على السجون خلال يومين أو ثلاثة، لمعرفة مكان السجين.

ويمارس السجان المغتصب شتى أنواع التعذيب على السجين الفلسطيني، ويفقد عدد من السجناء حياتهم، أو عضو من أعضائهم يفقد أو يعطل؛ لشدة التعذيب وتنوعه، ناهيك عن الأذى والتدمير النفسي الذي يلحق بالسجين. ويفتخر السجانون بوجود السجين لديهم، لأنهم يمارسون دور الجلاد بتفنن واقتدار. والتعذيب داخل السجون والأقبية تسرد وتروي بعض تفاصيله السجانية سيلفا عشيقه فلاديمير، فالسجينات يُجرن على القرفصاء فوق أعناق الزجاجات الطويلة الفارغة، ليُغتصبن بها، أو تُفتح أفخاذهن ويُغتصبن بالعصي الطويلة لانتزاع الاعترافات منهن (حميد، 2009) ص 136-145. كما يستخدم السجانون الكهرباء، وقلع الأظافر، والاعتصاب، والجلد، والكلاب، والقطن، والديوك، والشبح على الحيوان، والكَي بالنار والسكاكر، وتقب الأذنين، والأنف والشفتين. كل ما سبق استخدم مع "سعدية" لانتزاع اعترافها، لكنها لم تعترف، ولشدة تعذيبها وإضرابها عن الطعام انخفض ضغطها مرات ومرات، إلى أن ماتت.

وعارف الياسين الذي سُجن ثلاثين سنة، وهو معرض للسجن في كل لحظة، شاهد وراو آخر يسرد ويصف آليات التعذيب وأساليبه في تلك السجون، فبالإضافة إلى تعذيبه سُرقَت كليته وهو في السجن. ومن الذين قاموا على تعذيبه سيلفا فقد سوت ساعده بيده بعد أن سحبت يده. (حميد، 2009) 224-233

كما سردت وروت سلفيا طقسا احتفاليا يقام في السجون يسمى "جرار اللعنات"، تكسر فيه الجرار على رؤوس المساجين لتنتقل اللعنات من منازل اليهود إلى رؤوس الفلسطينيين (حميد، 2009) 348-350

وسردت طقسا آخر تقوم عليه سيلفا هو تجريد السجينات الفلسطينيات من ملابسهن في غرف التحقيق ليتمتع رفاقها بمشاهدة أجسادهن، وتقوم على كي أعضاءهن بملاقط الحديد وتشوّه صدورهن وأجسامهن وتنتشي عندما تشم رائحة الحرق فتشبهه برائحة شواء طائر الفري (حميد، 2009) ص 20

ولا يقتصر التعذيب على الفلسطيني، فيصل إلى كل متعاطف مع هذا الشعب، لقد وضع فلاديمير في السجن، ويتساءل إذا ما كانت سيلفا وراء اعتقاله؟ (حميد، 2009) ص 444، ويعتقل الحوذي جو، وتبدأ الأسئلة والتعذيب في رسالة السجن الرابعة، ويطلب فلاديمير من أستاذه أن يعد قصيدة لرتائه في رسالة السجن الخامسة. فالسجون الإسرائيلية هي لإعادة تشكيل هوية الأفراد، وإخضاعهم لسلطة الدولة العنصرية القائمة على القمع والمنع ومصادرة الحرية والحقوق.

فالسجين تصادر حرّيته، وعليه أن يلتزم بإملاءات سجان، ويفقد السيطرة على جسده لأن الجسد يصبح مادة للتعذيب. فالسجن قائم على مواجهة قائمة على طرفين ومفهومين من مفاهيم الذات والهوية، هما: السجن والحرية، السجين والسجان، وكل عنصر من هذه العناصر يتعارض مع الآخر، فإذا حضر واحد انتقى الآخر. وفي هذا المكان كذلك تقدم الشخصيات بفعاليتها المرتبطة بالمكان.

إذا تركنا البشر وانتقلنا إلى الأماكن العامة التي تمثل وقفيات سنجد أن مصيرها لم يختلف كثيرا عن مصير البشر.

### الأماكن العامة/ الأوقاف/ المقدسات

لم تستثن الأماكن الوقفية/أماكن العبادة/ من تغيير هويتها ووظيفتها التي بنيت من أجلها، فالمساجد والكنائس تم الاستيلاء عليها. فبعد نكبة عام 1948 شرعت سلطات الاحتلال قوانين تمكّنها من السيطرة على الأراضي الفلسطينية، والعقارات الخاصة بالمواطنين الفلسطينيين، والأراضي والعقارات الوقفية بغالبيتها الساحقة، ووضعتها بحوزة القِيم على أملاك الغائبين، الذي نقلها بدوره إلى سلطة التطوير التي نقلت ملكيتها إلى الدولة، والصندوق القومي اليهودي. بالإضافة إلى الاعتداء عليها فقد بلغ مجموع ما أقدمت سلطات الاحتلال على هدمه من المساجد المقامة في أراضي 1948 خلال الفترة الواقعة ما بين عامي 1948 – 1967 قرابة (130) مسجداً من أصل (313) إضافة إلى الاعتداء على عشرات المقابر والمقدسات (المفتي، 1991) والكنائس وتحويلها إلى أماكن للسياحة واللهو، والهيمنة على ريعها المالي والمتاجرة بها (وتد، 2010) فهذا الشاعر راشد حسين<sup>7</sup> (6) يرفع صوته بالتنديد والسخرية المرة بهذه الممارسات المتمثلة في عرض الأماكن المقدسة للبيع يقول: الله أصبح «غائباً» يا سيدي صادر إذاً حتى بساط المسجد وبع الكنيسة، فهي من أملاكه وبع المؤذن في المزاد الأسود حتى يتامانا أبوهم «غائب» صادر يتامانا إذاً يا سيدي عُرضت دور العبادة للبيع، استطاع عرب مسلمون ومسيحون شراء عدد منها وأبقوه دور عبادة. أما التي اشتراها اليهود فحوّلوها إلى اصطبلات ومطاعم، وملاه ليلية، وحانات.

فالمطعم الفاخر الذي دعت سيلفا فلاديمير إليه هو بالأصل كنيسة تم تحويلها إلى مطعم، لكن سيلفا ادعت أنه بيت قديم واسع، ينم عن تراثهم وأصالتهم، إنه مطعم {أوكاشة} في حي زخرون موشيه، المطعم الجميل الذي يقدم أجود أنواع الطعام وأغلاها. وعند الاقتراب من المطعم انكشفت هوية المبنى المعمارية الخارجية والداخلية للزائر، بوجود الطريق الدائري المحيط به، وبساحته الأمامية الواسعة المرصوفة بالحجارة السوداء، وبمساحته الواسعة من الداخل، وبأقواسه الحجرية الواسعة والمترادفة المشابهة لأقواس الكنائس. هوية تشي بوظيفة أخرى للمكان غير الهوية المعلنة والمدعاة، مما حفّز فلاديمير للتحري عن أصل هوية البناء ووظيفته، فقال له جو بأسى: إنه كان كنيسة. لكنه تحوّل بعد عام 1948. وأردف بقوله: إن الكثير من الكنائس والمساجد عرضت للبيع، وبيعت في مناقصات عامة، واشتراها اليهود، وحوّلوها إلى منشآت سياحية، وغير سياحية، اشترى اليهود الكنائس والمساجد وحوّلها اصطبلات للخيول والبغال والماشية.

ولما تعجب فلاديمير واستغرب، ردت سيلفا: لم نخترع جديداً، هذه الأمكنة نفسها تحولت إلى اصطبلات أيام احتلالكم لبلادنا في الحروب الصليبية. وبعد أن حاربناكم وانتصرنا عليكم أعدنا لتكون أماكن عبادة. قال فلاديمير متعجباً: أنتم حاربتم الصليبيين وانتصرتم عليهم.. وأين؟ قالت: حرب الاستقلال الأولى، معركة حطين، حاربنا مع القائد صلاح الدين. قال: لم أقرأ هذا في كتاب. قالت: تاريخنا يقول ذلك.

ولماذا حولتم دور العبادة إلى مطاعم واصطبلات؟ قالت: لأنها كثيرة، فالمسلمون والمسيحيون كانوا كثيراً، ولكن بعد خروجهم إلى بلاد وأمكنة أخرى، باتوا قلة، وأصبحت الكنائس والمساجد فارغة.

لم يستطع فلاديمير تحمل الصدمة فاستأذن للذهاب إلى الحمام، وبعد ذلك طلب سيارة وعاد إلى البيت دون طعام. (حميد، 2009) 217-219. وهنا تذكر ما قالته له زوجته رشيدة الفلسطينية التي لم يصدقها سابقاً وهذا هو اليوم يصدقها، ونام دون أن يدري كيف نام. لقد حول المطعم المتعة المتوقعة من تناول الطعام إلى غصة حفرت عميقاً في هوية فلاديمير. وعطفاً على ما سبق فقد ذكر جو بأنه بجوار المطعم مسجد جميل لا تقل مساحته عن المطعم اشتراه يهودي وحوّله اصطبلاً لبضعة بغال لا يرتاده الناس يبقى مخفياً عن الأعين، أما المطعم فيرتاده بشر كثيرون ويظل شاهداً على هوية دينية متحوّلة ومقموعة.

لم يكتف المغتصبون بتحويل هوية الأماكن المقدسة، أماكن العبادة الإسلامية والمسيحية، فأضافوا إليها هوية التاريخ والصراع على المكان في زمن صلاح الدين.

قدمت الرواية مناخاً مقدسياً معاصراً، من خلال فعاليات شخصياتها المتضادة الممثلة للمغتصبين، والغاصبين قدمت المقدسين المغتصبين بغاليات تظهر مقاومتهم بوسائل مختلفة، متجذرين في هويتهم المكانية، ممارسين لحياة ما استطاعوا إليها سبيلاً،

<sup>7</sup> راشد حسين: من شعراء المقامة الفلسطينية (1936-1977) من قرية مصمص من قرى أم الفحم. شارك في تأسيس حركة «الأرض». تعرض للقمع والطرده، فجاء إلى دمشق، وساهم في إنشاء مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، وكان مشرفاً على القسم العبري في إذاعة دمشق في حرب تشرين الأول 1973. غادر إلى نيويورك، وتوفي فيها محترقاً بالقصيدة من ديوان: صواريخ، دار العودة، بيروت، 1982، ص 129

منشرين في المكان، يحملون وردا ومحبة ودفئا، منهم: عارف الياسين، وأبو العبد، وسعدية، وأم أسعد... يقف إلى جانبهم عدد من السياح الذين يألمون لمعاناتهم: كفلاديمير، وجو مكلان.

وقدمت الغاصبين بفعاليات تظهر شخصيات مدججة بالكراهية والحقد والسلاح والتدمير، حياتهم متوترة دائما، يقظون ومتنبهون دائما للآخرين، منهم: سيلفا، وأم أهرون، والعسكر/البغالة...

نستطيع القول إن سردية "مدينة الله" هي كتابة مواجهة ومقاومة، وتمثل ابستيمولوجي واجتماعي وسياسي (كريستيفا، 1991)، وهي شاشة كبرى تُظهر واقع الاحتلال وأنماط معيشة الناس لهذا الواقع. فالاحتلال فرض علاقات جديدة رصدها الروائي بكثافتها ووقائعيتها وتفصيلاتها (صالح، 1985) وأعاد تنزيدها في بني أعادت خلق واقع مشابه ومماه للواقع الحقيقي (صالح، 1985). بكتابة ثرية ومختارة لعناصر التمثيل الدالة.

فظهر الفلسطيني عاملا بجد وانتباه وتضحية على تحصيل وجوده الملموس من اجتياح المغتصب المضاد ومجاها منزعا صهيونيا تحكماً يستهدف الهيمنة المادية والرمزية على المراجع الوجودية الفلسطينية، التي تشكل الهوية الفردية والجماعية والمكانية والتاريخية.

### خلاصة:

عمل المغتصب منذ اغتصابه للقدس وكل فلسطين على تجريدها من هويتها الكائنة وتبديلها بهوية جديدة موحدة تُعرف بهوية المغتصب.

فعمد إلى عسكرة الفضاء المكاني عامة، وتضييق سبل عيش السكان الأصليين، وأشكلة هويتهم المكانية، بالمنع، والمصادرة، والمحو، والإزالة، وسوء الجوار.

وعاقب المقاومين بسجنهم والتنكيل بهم، وتغيير معالم هويتهم الجسدية، بالإضافة إلى تغيير هوية إقامتهم في أمكنة جبرية هي السجن. كما أشكل هويتهم الاستقرارية بعد خروجهم من السجن وانقضاء مدة محكوميتهم.

وقام بتغيير هوية المساجد والكنائس وأعطاهها هويات جديدة: اصطبلات، ملاه، بارات، مطاعم.

وأقام هويات مكانية جديدة: مستوطنات محت هويات قرى عربية تم تدميرها.

واستحدث هوية مكانية على تخوم المدن تسمى مخيما بديلا عن هوية قرية.

واعتمد الروائي لتسريد هذه التمثيلات الرسائل ذات البنية الموحدة.

## المصادر والمراجع

أدونيس، 2002، موسيقى الحوت الأزرق، الهوية، الكتابة، العنف، ط1، بيروت، دار الآداب، بيروت  
أشكروفت، بيل، وغريفيث، غاريت، و تيفين، هيلين، 2006 الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، تر:شهرت العالم، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية

برهومة، عيسى، 2011، الهوية وزمن التحولات، بيروت، مركز دراسات الحدة العربية

البوعلي، آسية، 2002، "أهمية المكان في النص الروائي"، مجلة نزوى، مسقط، ع 29، 1 أبريل 2002:

جون جوزيف، 2007، اللغة والهوية، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، ع342

جريس، م1981، القدس . المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1،

حميد، ح. 2009، مدينة الله، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

شغيمر، أوسفالد، 2013، الثقافة المختلطة والهوية الثقافية- بعض فرضيات جدل الغريب والخاص في وحدة الثقافة، تر: عبد الحكيم شباط،

موقع الحوار المتمدن <http://www.nashiri.net/articles/social/5462-2013-10-07-22-04-48.html>

شقيير، محمد، 1988، مقارنة في المجال السياسي، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، محور المجال والسلطة، السنة الثانية، صيف - خريف 1988

صالح، صلاح، 1997، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، القاهرة، شرقيات

صالح، فخري، 1985، في الرواية الفلسطينية، ط1، بيروت، دار الكتاب الحديث

فوغالي، باديس، 2008، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث

الفصل، سمر روجي، 1995، الرواية العربية السورية 1980-1990، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب  
كريستيفا، جوليا، 1991، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر  
كناعنه، شريف، 2011 دراسات في الثقافة والتراث والهوية، رام الله، مواطن  
لوتمان، يوري، 1986 "مشكلة المكان الفني"، ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف، ع 6  
مرتاض، عبد الملك، 1995، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية  
مشواط، عزيز، 2005، الهوية كمدخل لصراع الحضارات، الحوار المتمدن، عدد 1358،  
<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=48762>  
المفتي، عادل، 1991، مسلسل الاعتداءات الصهيونية ضد المقدسات والأوقاف الإسلامية والمسلمين، مجلة بلسم، العدد 196، تشرين أول  
مونسي، حبيب، 2001، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب  
وتد، محمد محسن، 2010، إسرائيل تتاجر بأوقاف المسلمين، الجزيرة نت  
<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2010/8/26/%d8%a5%d8%b3%d8%b1%d8%a7%d8%a6%d9%8a%d9%84-%d8%aa%d8%aa%d8%a7%d8%ac%d8%b1-%d8%a8%d8%a3%d9%88%d9%82%d8%a7%d9%81-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b3%d9%84%d9%85%d9%8a%d8%69>

## Hasan Hamid's *The city of God* : A study in Jerusalem's about Transformative Identity

*Alia Mahmoud Yacoub Saleh* \*

### ABSTRACT

Hasan Hamid's novel *The city of God* tells us about the elements of identity of Jerusalem under the occupation. A significant identity that is multiple and miscellaneous religiously, socially and architecturally. The occupier works on changing this identity with another i.e. the identity of the occupier by many ways: militarizing the place, imposing a siege and restrictions on the people and changing the function of the architectural structures. This eradication of identity of the place is seen in the atmosphere, the houses, the camp, the prison, the village, the settlement, the church and the mosque. Each identity of place is faced with a threat: the houses are threatened by demolishing or occupation. The calm social life is threatened by militarizing and the militants, whereas the identity of the architecture is destroyed and hidden for mosques and churches are transformed into stables, bars, cabarets and restaurants. The Arab villages are destroyed and replaced with settlements. A new identity is introduced i.e. the camps. A descriptive analytical approach is adopted in this study.

**Keywords:** place; identity; The City of God; Hasan Hamid.

\* Faculty: Arts and Sciences, Al-Ahliyya Amman University. Received on 13/10/2017 and Accepted for Publication on 4/10/2018.

